وصوَّر المرأةَ تُلقي الطهرا من بُرْدها الاسنى يفوح عطرًا
وصوَّرَ الطفلَ ترى الملاحهْ في ثغره بل كلهُ صباحهْ
ذي صورةٌ للاسرةِ العُلويَّهْ تُبصرها في البيعة القدسيَّهْ
ذي يوسفُ الابرُّ والبتولْ والحملُ الفادي ابنُها الجميلُ
ناداكمُ هُبُّوا ايا نيامُ وأقبلوا اليَّ لن تُضاموا
ضموا عن الرقاب ذاكَ النيرا في بيعتي تلقونَ حقًّا نورًا
يحكم من العناء والنصَبْ وعندهُ تلقونَ غاياتِ الاربْ
بل يجدُ المجرَّبُ الاثيمُ مواهبًا يُخزى بها الرجيمُ
يَسرُّهُ بها الملاكُ الحارسُ من كلَّ سرٍّ هو منهُ قابسُ
في بيعةٍ كانها الملياءُ بوشيها او روضةٌ غنَّاءُ
بل تسحبُ البيعةُ في زخرفها على الدزاريِّ سَنَى مُطرَفها
فبهجةَ الدنيا حوتْ في صحنها والفلكَ الاسمى علتْ في حسنها
وسبَّحتْ بحمدِ ربِّ الفلَقِ اجواقُها في شفقٍ وغسَقِ
والسُّرْجُ تحتَ قبةِ الكنيسهْ قد مثَّلتْ انوارهُ القدُّوسهْ
وكل جوقٍ فوقَ جوقٍ قد سما كالملإِ الاعلى وسكَّان السما

(له بقية)

سياحة اسقفية الى بلاد بشارة

لحضرة المرسل اللبناني الفاضل الخوري ابراهيم حرفوش (تابع)

الى الجش

في ٢٦ من شهر ايلول اقرأنا الوداع على اهل الجش وعدنا الى عينبل ثمَّ استأنفنا المسير صباح اليوم الثاني الى الجش فواكبتنا شرذمة من الفرسان حتى دخلنا سهلًا واسعًا

يقرب يارون فاخذ مواكبونا يتجوّلون في تلك الفلاة على صهوات خيلهم تعدو بهم الجياد كانهم الرياح سرعةً فتلتهم الارض التهاماً وكانوا يمثلون العاب الجريد بخفة غريبة وحذق يُقضى منهُ العجب

وكان اهل يارون خرجوا للقاء سيادة المطران فشكر لهم تلطفهم لكنهُ لم يعرج على قريتهم لانهُ كان زارهم مدة اقامتهِ في عينبل . ويارون هذه جنوبي عينبل كانت من جملة مدن سبط نفتالي تُدعى في سفر يشوع (١٩ : ٣٨) يَرْءُون وموقعها على اكمة جميلة وفيها من الاثار ما يدلّ على قدمها من جملتها صهاريج ومدافن منقورة في الصخر ومنها كتابة يونانيَّة قديمة تشهد على انَّ هناك وُجد هيكل للوثنيين . وآثار ذلك الهيكل الذي حوَّله النصارى الى كنيسة على عهد الروم لا تزال مبثوثة في انحاء القرية التي يبلغ عدد اهلها نحو ٦٠٠ نصفهم مسلمون والنصف الاخر روم ملكيون

ثمَّ انحدرنا من هناك الى واد عميق فيهِ عين ماء زلال شربنا منها واخذنا عندها قليلاً من الراحة ثمَّ توقلنا الاكمة القائمة عليها قرية الجش فكان مسيرنا في طريق خطرة لانَّ تربتها من الصخر الطباشيري المعروف بالحوّارى يصعب فيها العبور عند انهيال الامطار في مثل هذا الفصل . ولمَّا صرنا في جوار القرية خفَّ اهلها للقائنا فهزجوا وترَّجبوا كمالوف عادتهم ومكثنا في الجش الى اليوم الثاني من تشرين الاول

الجش قرية كبيرة تابعة لقائمقاميَّة صفد تعلو عن البحر ٨٠٩ امتار بنيف موقعها في الشمال الغربي من صفد وبالقرب من جبل الجرمق يفصل بينه وبينها جنوباً سهلٌ فيهِ قرية الصفصاف التي تُدعى في التلمود صنصوفا . وفي شمال الجش قرية قارا وفي شرقيها الشمالي واد عميق ذو مياه غزيرة وكذلك في غربيها سهل ثم وادٍ آخر من ورائهِ قريتا كفر برعم وسعسع . واهل الجش اكثرهم المسلمون ثمَّ الروم الكاثوليك ثمَّ الموارنة وعددهم ٤٤٥ وفي الجش كنيسة للروم الكاثوليك مبنيَّة على انقاض حصن قديم وللموارنة ايضاً كنيسة . وفي هذه القرية مدرستان يديرها الاب داود الخوري الالماني رئيس دير الطابغة بقرب بحيرة طبريَّة

والجش كانت قديماً مدينة حصينة كان في اعلاها قلعة ذات سور يحدق بها لم تزل بقاياهُ منظورة الى اواسط القرن السابق وفي مقامها بُنيت كنيسة الروم الكاثوليك . وترتقي تاريخ الجش الى عهد بني اسرائيل قيل انها أحلب المذكورة في سفر القضاة

(٣١:١) في جملة املاك سبط اشير. وكان الرُّبانيون يدعونها باسم « جوش حلب » لشارة الى خصبها ومعاصر زيتها الفاخر ثمَّ عُرفت في ايام اليونان باسم جسكالا . وقد لعبت الجش دورًا مهمًا في ايام الرومان لمَّا زحف وسبسيان وابنهُ طيطوس على اليهودية. وكان المؤرخ يوسيفوس اليهودي متوليًا عليها اذ ذاك فرمَّمها وزادها حصانةً لكنَّ الرومان فتحوها وألفوا بكرهم قلب صاحبها فانحاز الى دولتهم وكتب تاريخ اورشليم وتفاصيل الحرب اليهوديَّة التي بها أنتهت دولة بني اسرائيل

وفي الجشّ آثار عديدة بعضها من بناء اليهود منها بقايا كنيسين قديمين لهم. وقد وجد الالمان في بعثتهم الاخيرة في الوادي الواقع شرقي شمالي الجش وعلى مقربة من عين الماء التي هناك في محلّ يدعى الخسوفة اثار معبد يهودي فاحتفروا حتى وجدوا اساسهُ ورسومهُ بيّنها تمامًا . وكذلك اكتشفوا بعض النقوش القديمة من جملتها رسم النسر الرومانيّ . وكان رينان سابقًا وقف هناك على كتابة فيها اسم مشيّد هذا البناء وهو يدعى يشوع ابن ناحوم. ثم تراكم الردم هناك فطُمرت الكتابة حتى استخرجها المهندسون الالمان مؤخرًا. ويظهر من هندسة هذا الجامع ان اليهود في عهد اليونان والرومان فضَّلوا طرز اولئك الامم في ابنيتهم كما انهم لم يانفوا ان يستعيروا منهم بعض النقوش والتصاوير الشائعة عندهم

وفي الجشّ غير ذلك من الاثار وخصوصًا المدافن القديمة التي توفرت في انحائها واكثرها اليوم قد سُدَّ او أُهمل فخرب

وبقينا في الجشّ أيامًا مع سيادته وقد وفَّقه الله الى اعادة الصلح والسلام بين اهلها الموارنة وكانت الضغائن تمكنت في قلوبهم وانقسموا الى قسمين لسبب قتيل اغتالهُ البعض منهم. وكان الشر قد تفاقم فلمَّا جلَّ سيادته بينهم اندمل الكلم واصطلح القوم وانقادوا الى اوامر راعيهم

وانني ارى في هذه النسبة ان اذكر هنا العادات التي كانت جاريةً قديمًا بين اهل بلاد بشارة في مثل هذه الحوادث. ولعلهم اخذوها اهل البادية المجاورين لهم

اذا قُتل رجل من تلك البلاد ثمَّ رضي القوم بالاصطلاح وابطال العداوة يوجه اهل القاتل الى اهل القتيل وفدًا من الاوجه ليقرروا امر الصلح والدية فيعيّن هؤلاء مدة معيَّنة تُسمى عطوة بها يحجبون اعتداءهم عن اهل القاتل بحيث في خلالها

تتقرر الدية وهذه المدة يعطى مقابلها مبلغاً من المال من الف الى الفي غرش. ثم تتقرر مواجهة ثانية لعقد الصلح ويذهب وفد لهذا الغرض يرافقهُ رئيس عائلة القاتل الذي يكون ارسل صحبة هذا الوفد ما يلزم من الضيافة من الارز والقهوة والذبائح والخلع على اهل القتيل. وعند وصولهم يكون الطعام مُعدّ فلا يأكل الوفد قبل ان يعدهم اهل القتيل بحل المشكل واذ ذاك تبدأ المخابرة فيطلب اهل القتيل مبلغاً باهظاً من المال يزيد على المبلغ الذي يكون تقرر مع الوفد الاول فيقبل هذا الوفد الثاني بالمبلغ تماماً وانما يطلب رئيس الوفد كرامتهُ من اهل القتيل «بماذا تكرموني» فيجيبونهُ بعد الاخذ وردّ بأنهم «تركوا لهُ الفي غرش اكراماً لخاطرهِ» واذ ذاك يتقدم افراد الوفد واحداً فواحداً يطلبون ترك شيء اكراماً لهم ايضاً فيفعل اهل القتيل الى ان تصل القيمة الى ما تقررت عليهِ في المواجهة الاولى مع الوفد الاول: ثم يجلسون يتناولون الطعام

وبعد الاكل يرتّق بعصاً طويلة يركزها وجيه اهل القاتل امام باب دار القتيل ويربطها بمنديل من رأسها ويعقد تحت ربطتها عقدة واحدة في المنديل ويتبعهُ على ذلك اهل حولته او عشيرتهِ فيعقد كل منهم عقدة وحينئذٍ تُنقد الدية من طرش او نقود او عقارات ويُنتخب كفيلان الواحد يدعى كفيل الوفاء والاخر كفيل الدفاء فكفيل الوفاء يكفل اهل القاتل على ايفاء تمام الدية التي تكون تقسطت الى قسطين او ثلاثة — وكفيل الدفاء يكفل اهل القاتل على سلامة ارواح واموال وحرية اهل القتيل

ثمّ يحضرون القاتل بين تلك الجماهير من قرية قريبة يكون اختفى فيها الى بيت القتيل يصحبهُ كفيل الوفاء فيحلقون لهُ قطعة من فَرَص شعر راسهِ ليدلوا بذلك على انهم اعتقوهُ ويتقدم اذ ذاك وجيه عائلة القتيل فيفكّ عقدتهُ من المنديل ويتبعهُ باقي اقاربهِ الى ان ينتهي حل كل العقد يشيرون بذلك الى ان الخصومات قد انحلّت وينصرفون بعد ان يخلعوا على اهل القتيل الخلع من اللابس المألوفة عندهم واذا تأخر اهل القاتل عن الوفاء فعلى الكفيل ان يجرد من حولتهِ واصحابهِ ومن الخارج ليحصل الدية مضاعفاً ويأخذ قسماً خاصاً بهِ وقسماً لاهل القتيل. امّا اذا جرى تعدٍّ من اهل القاتل فلكفيل الدفاء الحق ان يحصل منهم الدية مضاعفاً

صفد

وفي اليوم الثاني من تشرين الاول قنا من الجش نريد مدينة صفد فقام معنا حفاوةً بسيادته ثمانون فارساً يمتطون الخيل المطهّمة وبايديهم الحجن او الجريد وملابسهم على زيّ واحد العقال والشملة. فسرنا في سهل ذي حجارة سود نخرة تقذفها بركان قديم ترى آثار حيثه في تلك الحرّة الى بلاد النور ماراً ببحيرة طبرية. واجتزنا في طريقنا بيركة الجش التي عندها كانت كما يظهر فوهة البركان

ثم مشينا قليلاً فادركنا مزرعة فدّيتا من املاك الخواجا الياس افندي البوّاب عضو مجلس ادارة صفد عن المسيحيين. وفدّيتا هذه على ما يُرجَّح هي المدينة التي ذكرها يوسيفوس والربّانيون باسم كيفيا يحيط بها اراض طيبة التربة لكنّنا في هذا الفصل وجدناها قاحلة جرداء لا ينبت فيها سوى الشبرق والعضاه ولم نجد فيها اثرًا للبطيخ الصفدي الذي اطرأهُ ابن بطّار وذكر وجودهُ في السهول المجاورة لصفد

ثمّ ملنا الى الشرق وعرّجنا الى الجنوب حتى اذا صرنا على مقربة من الاكام الثلثة الواقعة فوقها صفد رأينا كوكبة من الفرسان في مقدمتهم بعض رجال الحكومة السنية قد بادروا لملاقاة الزائر الكريم والسلام عليهِ. فبعد مبادلة عبارات المجاملة والترحيب استأنفنا السير نحو المدينة في طريق صعبة المرتقى اشبه باللولب في تعريجاتها حتى بلغنا باب المدينة واذا باهل صفد خرجوا الى ملاقاتنا زرافات ووحداناً فترجل سيادتهُ وسرنا بمعيّتهِ في وسط تلك الصفوف المتزاحمة في طرق البلدة الضيقة الى كنيسة اخوتنا الروم الكاثوليك اذ ليس للموارنة كنيسة في صفد فصلى قليلاً ثمّ خطب خطاباً وجيزًا شاكرًا للملاقين لطفهم وخرج الى دار جناب اميل افندي راجي مدير التلغراف والبريد فحلّ عندهُ ضيفاً كريماً فلم يلبث وجوه البلد ان توافدوا ليؤدوا لسيادتهِ مراسيم التحيّات فردَّ الزيارات للجميع

وكان جلُّ اهتمام سيادتهِ مدَّة اقامتنا في صفد مصروفاً الى الموارنة وهم قليلو العدد وكلهم من صيداء من نخبة اهلها قدموا صفد لاشغالهم ويخدمون الحكومة السنيَّة بامانة نخصُّ منهم بالذكر جناب مضيفنا المعروف بحسن سجاياه وكرم طباعهِ وهو صهر الياس افندي البواب احد وجوه صفد واناضلها ونذكر بالثناء ايضاً الافنديّة آل غوّر المتقدمين بخدمة الحكومة السنية وكلهم ساعدونا على ارتاج باب الفتنة بين المتعادين

من اهل الجش وكان قسمٌ منهم في صفد هاجروا بلدهم بسبب تلك الفتن فعاد التحاب بين الجميع وانتهى الخصام

وممن يسرنا ذكرهم بالخير اسرةٌ كريمة لها الايادي البيض على نصارى صفد والقرى المجاورة اعني قنصل دولة النمسا الفخيمة ووكيل قنصليَّة بريطانيا العظمى المسيو لاديسلاس احد المتخرجين في مدرسة عينطورا العامرة. فانهُ في طول مدَّة اقامتنا في صفد لم يدَّخر وسعاً في اكرام سيادة المطران مظهراً من التحفي بشخصه الكريم ما يندر مثلهُ. ودعاهُ للاحتفال بالذبيحة الالهيَّة في معبد داره الخاص فحضر كثيرون تلك الرتبة الشائقة. وقد لقينا من جنابه رجلاً راسخ القدم في الاداب محبًّا للعلوم باحثًا للاثار القديمة ومن فضلهِ ما تكرَّم علينا بهِ من الرسوم التي اخذها بالتصوير الشمسي

صفد (ويقال لها صفت) ورد ذكرها في سفر طوبيا (١:١) فقال «كان طوبيا وهو من سبط ومدينة نفتالي التي في الجليل الاعلى فوق نحشون وراء الطريق الآخذ غرباً والى يسارها مدينة صفت» ويرى بعض الجوَّالة ان مدينة طوبيا على الارجح كانت في المحلّ المدعو في ايامنا عين رشاده لجنوبي المدينة الحالية وأيناه عن بعيد من محل يدعى الرجوم بالقرب من بناية لسيدة اميركيَّة تدعى مس فورت ويكشف هذا المحل على اجمل مشاهد فلسطين كبحيرة طبرية وجبال حوران ومغاور دبلا الشهيرة في تاريخ يوسيفوس وقرون حطين. وصفد الحاليَّة تعار عن البحر نحواً من ٩٠٠ متر مبنيَّة على ثلاث اكام حول الاكمة المبنيَّة عليها القلعة وتنقسم الى خمسة احياء وسكانها من المسلمين واليهود وهم العدد الاوفر ثمَّ النصارى وهم قليلون. اما قلعة صفد الشهيرة فقد هُدمت بزلزال شهير سنة ١٨٣٧ وهلك اذ ذاك من السكان نحو من ٥٠٠٠ نسمة وما تبقى من حجارة القلعة استخدمه السكان للابنية وهذه القلعة قديمة بلا مراء لصلاحية مركزها للدفاع قد اخبرنا يوسيفوس بانهُ حصَّن او رمَّم هذه القلعة مع غيرها من الحصونة بجريه ضد الرومان ودعاها كتبة القرون الوسطى Le Saphet وهيئتها بيضوية الشكل طولها ٤٠٠ متر بعرض ٩٥ م وكان يرى فيها بعض بنايات حتى سنة ١٨٦٣

وصفد هي مدينة اليهود والمعظمة بعد خراب اورشليم ولعلماء التلمود ذكرٌ وآثار فيها وسكانها اليهود الان مهاجرون اليها من الحجر وبلاد المكوب على الاكثر وقد روى صموئيل بن شمشون الذي زار هذه المدينة سنة ١٢٠٠ ان عدد اليهود في صفد كان

عظيماً اذ ذاك . وهم اليوم ايضاً كثيرون . ومما جرى لنا اننا كنا نتجول في المدينة نهار السبت فوقع نظرنا على زي لم نكن رأينا اليهود يلبسونه وهو عمامة يحيط بها ذنب ثعلب وتفرسنا في تلك الوجوه الضئيلة الكالحة عند خروجهم من مجامعهم فسألت بعض الاصدقاء عن هذا الزيّ الغريب فأجاب انهم عمدوا اليه منذ عهد قريب فاتخذوه علامة كرامة وفخر

وقد بلغنا ان سكان صفد من اليهود ألفوا خطة لم يألفها غيرهم من جنسهم وهي البطالة وانما حملهم على ذلك ما كان يُرسل اليهم من المساعدات الماليَّة من صناديق الجمعيات الخيريَّة التي أُقيمت في اوروبا لعضدهم وترى الفقر المدقع سائرًا بينهم وساكنهم اشبهُ بمغاور منها بمساكن لا يدخلها النور والهواء فيسكنون تحت الارض ويخرجون بغتةً من منفذٍ صغير بين بلاط السوق يعلو وجوههم الاصفرار وقد ضرب الهزال اطنابهُ بينهم

اما حالة صفد التجارية فمعروفة فالسوق في كساد ويؤمَّل التحسين اذا تمَّ مشروع مدّ طريق العربات من هذه المدينة حتى بحيرة طبريَّة فتكون منهل خير لبلاد صفد وبلاد بشارة والان قد سيَّرت السكة الحديدية الحجازية مراكب صغيرة في البحيرة لنقل البضائع الى اطرافها . ثمَّ أُتيح لنا الصعود في هذا النهار نفسهِ الى القلعة التي لم يعد يُرى منها سوى بعض حجارة وبعض آبار وآثار الخندق ومن هنا انكشفت لنا المدينة باحيائها وحاراتها وما جاورها مما اخذ بابصارنا . فحدَّقنا نظرنا نحو الشرق فوقع على حارة الاكراد وحارة الجوزة وسكانها من المسلمين ويتَّصل بهذه الحارة الاخيرة للجنوب حارة الصواورين وسكانها من المسلمين ايضاً ثم نظرنا الى الغرب فاذا بحارة الوطى امامنا ويتصل بها من الجنوبي حارة الجامع الاحمر وسكانها من المسلمين

ثم نظرنا حارة النصارى وهي واقعة بين الجامع الاحمر وحارة السوق وحارة السوق هي للشمال الغربي يقطنها اليهود ثمَّ نظرنا الى الشمال الشرقي فاذا بقرية بيريا فكان مجموع حارات صفد سبعة مبنيَّة على منعطفات اكام او تلال حول اكمة القامة التي تكلل المدينة والبنايات مرصوفة حولها

(لهُ بقيَّة)